سلسلة فتيان لكن أبطال

٢٠

سعيد بن العاص

أكرم العرب

خليل الصمادي

مكتبة العبيكان

obeikandl.com

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصمادي، خليل عمرو

سعيد بن العاص أكرم العرب.- الرياض

٢٠ ص، ١٧X ٢٢ سم - (سلسلة فتيان لكن أبطال؛ ٢٠)

ردمك: ٩ - ٧٧٤ - ٢٠ - ٩٩٦٠

١- سعيد بن العاص ٢- الصحابة والتابعون

أ- العنوان ب - السلسلة

ديوي ٩، ٢٣٩ ٢١/٣١٤٦

ردمك: ٩ - ٧٧٤ - ٢٠ - ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢١/٣١٤٦

الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

ولد في مكة عام الهجرة ونشأ في بيت والده العاص بن سعيد بن العاص ابن أمية.

قتل أبوه يوم بدر كافراً إذ خرج مع أبي سفيان لملاقاة محمد وأصحابه، ولما اشتد وطيس المعركة هجم عليه الفتى علي بن أبي طالب فأرداه قتيلاً بعد أن ثبت له ثبوت الليوث.

وعادَ مَنْ نجا من المشركين إلى مكة، ولم يعد العاص، وتربى سعيد يتيمًا مع أمه أم كلثوم العامرية.

لله در هذا الغلام الذي مات أبوه مشركاً، فما إن عقل حتى أدرك عظمة الإسلام.

الأيام تدور، وكفة المسلمين راجحة، ودين الله يعلو في الأرض.

جاءت السنة الثامنة من الهجرة وانطلقت جيوش الفتح إلى مكة، ويدخل رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام ويقرع بعصاه الأصنام وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾.

ويدخل القرشيون في دين الله أفواجًا رجالاً ونساءً وصبيانًا. ويدخل سعيد بن العاص إلى النور والهداية.

وبدأت حياة سعيد تتغير نحو الأفضل منذ عرف الرسول والمسلمين فبدت عليه علامات الشجاعة والكرم.. وقد عرفه المسلمون بذلك منذ

صغره حتى غدا حليماً وهو صغير.

جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ومعها بردة فقالت: يا رسول الله، إني نذرت أن أعطي هذه البردة لأكرم العرب .. وكان سعيد واقفاً تجاهه، فقال الرسول للمرأة: **أعطيها لهذا الغلام ..**

لله درك يا سعيد، أحقاً أنت أكرم العرب؟! لقد تحققت فراسة رسول الله ﷺ بهذا الغلام .. لقد كان في العرب كرماء كثيرون لكن سعيد بن العاص كان أكرمهم وأحلمهم وأفصحهم.

وعاش سعيد بن العاص بضع سنوات مع رسول الله ﷺ وكان يكثر من اللقاء به ليتعلم القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والتفقه في الدين والكرم، عرف الفصاحة والشجاعة من مدرسة رسول الله الذي كان يحرص على تنشئة أبناء المسلمين على الإيمان والشجاعة.

لم تسعد عيناه كثيراً برؤية الرسول الكريم فقد فاضت روحه الطاهرة وسعيد غلام صغير لم يبلغ العاشرة بعد، فحزن عليه كثيراً، وكان توّاقاً[1] لمرافقة أسامة بن زيد في جيشه المتجه إلى الشام ولكن صغر سنه أقعده عن ذلك.

عرف الصحابة فضله ونبوغه وفراسة الرسول الكريم به، وكانوا يحبونه

(١) تواقاً: متشوقاً.

كثيراً وبما أنه يتيم الأب كفله عمر بن الخطاب وتربى في حجره[1]، وأدناه من مجلسه، وكان يعامله معاملة الرجال. ويستشيره في كثير من الأمور، وذات يوم كان في مجلسه مع كبار الصحابة، فأخذ القوم يذكرون أيام غزوة بدر، ولعل بعض الحاضرين قد ألبس عليه قتل العاص والد سعيد فقال: إن عمر بن الخطاب قتله، عندها قال عمر لسعيد: يا سعيد، أنا لم أقتل أباك!! إنما قتلت خالي العاص بن هشام.. وقد أشكل ذلك على بعض الناس، إن الذي قتل أباك هو علي بن أبي طالب! ولو رأيته يا سعيد قبل أن يزاه ابن أبي طالب لقتلته!

عندها قال سعيد: ولو قتلته فهل الأمر يزعجني؟ لا.. إنك يا ابن الخطاب كنت على الحق وكان أبي على الباطل.

أعجب عمر بن الخطاب من إجابة هذا الغلام الصغير، إنه ليس صغيراً إنه رجل يعرف الحق، ويذب[2] عن الإسلام، فلو كان شاباً يوم بدرٍ وقابل أباه المشرك لقتله قبل أن يجهز عليه أحد. كما فعل أبوعبيدة بن الجراح يوم قتل أباه المشرك.

إن البذرة التي زرعها رسول الله ﷺ في نفس سعيد بن العاص يوم كان صغيراً ها قد أينعت وأثمرت، أثمرت فضائل الأخلاق والشجاعة والكرم

(١) تربى في حِجْره: أي في كنفه وتحت رعايته.

(٢) يذب: يدافع.

لأنها ارتوت بينابيع الحق والقوة، وقد عُرف ذلك من كلام هذا الغلام وفعله.

كبر الغلام وبلغ مبلغ الرجال، وأحب أن يشارك في فتوح الشام فأرسله عمر بن الخطاب في مقدمة جيوش الفتح، وأبلى بلاءً حسنًا وأقام مع معاوية في الشام، فسرَّ معاوية من شمائله[1] الكريمة، وأوكل إليه المهمات الصعبة، وأثبت رجولته وهو فتىً يافع[2]،

ولم ينس عمر بن الخطاب سعيداً، ففي أحد مجالسه في المدينة المنورة ذكر أيام قريش ورجالها وأبطالها، ولم ينسَ الغلام القرشي الذي وصفه رسول الله ﷺ بأنه أكرم العرب، ولم ينسَ إجابته المشهورة في المجلس السابق، فظل عمر معجباً به فسأل عنه، فقالوا له: إنه بالشام وإنه قد أبلى في حروبه مع الروم بلاءً عظيماً.

أحب عمر أن يرى سعيداً فأرسل كتاباً إلى معاوية بن أبي سفيان يأمره بقدوم سعيد.

كتاب أمير المؤمنين يصل إلى دمشق ويقرؤه معاوية ويستجيب لما أمره، فيرسل سعيداً على عجل.. وصل سعيد المدينة المنورة فقدم مجلس أمير المؤمنين، فسلم عليه وأجلسه مجلساً لائقاً بالرجال. وقال له: قد بلغني

---

(١) شمائه: صفاته.

(٢) يافع: ناهز البلوغ.

عنك أنك ذو بلاء[1] وصلاح فازدد يزدك الله خيراً، فرح الفتى سعيد من هذه الدعوة المباركة، وزادته شجاعة وقوة وإيماناً، وفرح من جلوسه مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ثم سأله عمر: هل لك من زوجة؟.

قال سعيد: لا.

في هذه اللحظة دخلت امرأة عجوز على عمر ومعها بناتها الثلاث، فقالت له: يا أمير المؤمنين، هؤلاء بنات سفيان بن عويف ومَنْ مِنْ قريش لا يعرف بطولته وقوته، لقد هلك رجالنا وإذا هلك الرجال ضاع النساء. فضعهن في أكفائهن[2].

فكر عمر مليًّا في الأمر فَمَنْ هم الرجال الأكفاء الذين يستحقون هؤلاء الفتيات؟ وجدها فرصة سانحة فاستشار سعيداً على عجل وزوجه إحداهن؛ لأنه وجده كفئًا لها، وزوَّج فيما بعد الاثنتين لرجلين من كبار الصحابة.

بقي سعيد قريباً من عمر يحضر مجالسه ويشاوره في كثير من الأمور، ولم يمت عمر حتى كان سعيد من أشهر رجال قريش.

سعد عثمان بن عفان به وضمه إلى مجلسه، وأحبه، وكان يعرف

---

(١) الجلاء: القوة في الحرب أو القوة في الكرم.

(٢) الكفء: النظير والمماثل.

فصاحته وشجاعته، وكان يعده لمهمة صعبة، وكان سعيد في انتظارها وما هي هذه المهمة، ظن سعيد أنه سيلحقه بجيوش الفتوح، ولكنه خاب ظنه هذه المرة، لقد كانت المهمة أن يصبح أميراً على الكوفة، وسعيد لا يحب إلا مقارعة أعداء الدين. هل يرفض طلب الخليفة، لا إنه أمرُ أمير المؤمنين.

استجاب سعيد لأمر عثمان – رضي الله عنه – وسار إلى الكوفة وكان بها اضطراب، وأهلها كثيرو الشكوى على أمرائهم، فلما وصل صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: والله لقد بُعثت إليكم وإني لكاره، ولكني لم أجد بدًّا إذا أمرت أن أئتمر، ألا إن الفتنة قد ظهرت، ووالله لأضربن وجهها حتى أقمعها.

يا أهل الكوفة! إنَّ أحبَّكم إليَّ أقرؤكم لكتاب الله، أفقهكم في دين الله، فليكن أولئك أصحابي وخلاني[1]، وإنَّ أبغضكم إليَّ المسرف على نفسه، المصرُّ على ذنبه، الذي لا همَّ له إلا المضاحيك والأباطيل فلا يقربني أولئك.

بهذه الخطبة الوجيزة رسم سعيد بن العاص سياسته الواضحة، وسار على خطاها وأعاد الأمن والاطمئنان إلى الكوفة، ولكن سعيداً ظل متشوقًا إلى الجهاد في سبيل الله فأخذ يعد العدة لفتح طبرستان، فاستأذن عثمان في ذلك فأذن له وأرسل معه شجعان الصحابة أمثال: الحسن والحسين وابن عباس وعبدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالله بن عمرو بن العاص وحذيفة

(١) الخلان: الأصدقاء المقربون.

ابن اليمان وعبدالله بن الزبير وغيرهم، وسار الجيش المبارك بقيادة سعيد، وأخذ يفتح الحصن بعد الحصن حرباً أو صلحاً، واستمر الجيش في فتوحه حتى وصل طبرستان وجرجان وخراسان وأذربيجان وغيرها من البلدان الكثيرة، فنشر الإسلام هناك وعاد الأمن والاطمئنان، وما كاد الجيش أن ينتهي من مهمته حتى طلب عثمان من سعيد بن العاص وحذيفة بن اليمان وعبدالله بن الزبير بالقدوم إلى المدينة، حضر القادة إلى المدينة فقابلهم عثمان وطلب منهم أن يجتمعوا مع زيد بن ثابت لينسخوا القرآن الكريم، وكان عثمان قد طلب من حفصة بنت عمر أن ترسل إليه الصحف لينسخها، وكانت هذه الصحف هي التي كتبت في أيام أبي بكر وكان الذي جمعها زيد بن ثابت من الرقاع والعُسب(١) وصدور الرجال.

لمَ أوكل عثمان بن عفان هذه المهمة الصعبة لهؤلاء الرجال العظام؟

إنهم الثقات الأبطال الذين عرفهم الصحابة بفضلهم وصدقهم، وقد قالوا عن سعيد بن العاص: إن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ.

ولما أتم الرجال مهمتهم الصعبة نسخوا عدة نسخ، فقام عثمان – رضي الله عنه – برد الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق(٢) بمصحف وحرق ما سوى ذلك، وأمر أن يعتمدوا عليها ويتركوا ما سوى ذلك.

(١) العسيب: قضيب من النخل نزع عنه ورقه.

(٢) الأفق: الناحية من الأرض.

لله درك يا ابن العاص، أنت رجل ولست كالرجال، أنت رجل المهمات الصعبة، توكل إليك الإمارة، وقيادة الجيوش، ونسخ القرآن الكريم، وأنت شاب يافع، لا يعرف الخوف سبيلاً إلى قلبك.

وما إن انتهى سعيد من هذه المهمة الشريفة حتى سارع إلى الكوفة ليتابع فتوحاته ونشر دين الله على الأرض.

وظل هناك مدة يسيرة ثم عاد إلى المدينة المنورة ولزم بيته واعتزل الفتنة ولم يشهد شيئًا من تلك الحروب، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان الذي عرف فضله يوم كان على رأس جيوشه في الشام، طلب منه أن يتولى إمارة المدينة فتولاها بالتناوب مع مروان بن الحكم، وكان مروان يخشى من سعيد ويكنّ له الكره بسبب الإمارة، وسعيد ومعاوية يعرفان ذلك، وذات يوم ذهب سعيد إلى الشام يوم كان الوالي مروان فأحب معاوية أن يختبره فسأله: كيف تركت مروان؟ قال: تركته منفذاً لأمرك، مصلحًا لعملك!! فقال معاوية: أخشى أن يأكل مما حصد غيره! عندها قال سعيد: كلا يا أمير المؤمنين، إنه من قوم لا يأكلون إلا ماحصدوا، ولا يحصدون إلا ما زرعوا.

قال: فما الذي باعد بينك وبينه، قال: خفته على شرفي وخافني في مثله.

هذه صور من شجاعته النادرة لكن المشهد لا يكتمل إلا إذا عرفنا بعضاً

من سيرته في الحِلْم[1] والكرم.. ألم يشهد له رسول الله ﷺ بأنه أكرم العرب وهو لم يكمل التاسعة من عمره.. بلى فكيف كان هذا البطل..

لم يبخل على فقير أو سائل، ولم يرد حاجة ملهوف، ويروي المؤرخون أنه إذا سأله سائل وليس عنده ما يعطيه، أخذ قرطاساً[2] وكتب له فيه ما يستحقه وتكون بذمته فيوفيها له في أيام يُسْرِه وغناه.

حتى قال عنه المؤرخون: سعيد بن العاص من أجواد أهل الإسلام وذكروا القصص الكثيرة عنه وعن جوده وفضله.

وكان رحمه الله يدعو إلى الإنفاق وكيف لا يدعو وهو من أكثر المنفقين في سبيل الله، كان يقول وهو على المنبر «من رزقه الله رزقًا حسنًا فلينفق منه سراً وجهراً حتى يكون أسعد الناس به، فإنما يترك ما يترك لأحد رجلين: إما مصلح فلا يَقِل[3] عليه شيء، وإما لمفسد فلا يبقى له شيء.

ومن جوده أيضاً أنه مرض وهو بالشام فعاده معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين ومعه ثلاثة من رجاله، فلما رآه سعيد أراد أن يقوم من فراشه تكريماً لضيوفه فقال له معاوية: أقسمت عليك أباعثمان ألا تتحرك فقد ضعفت بالعلة[4]، فقام معاوية نحوه حتى حنا عليه، وأخذه بيده فأقعده على فراشه

(١) الحلْم: التسامح والصفح.

(٢) القرطاس: الصحيفة التي يكتب فيها.

(٣) يقل: ينقص.

(٤) العلة: المرض.

وقعد معه، وجعل يسائله عن علته ومنامه وغذائه، ويصف له ما ينبغي أن يتوقاه[1]، وأطال القعود معه، فلما خرج معاوية وأصحابه سألهم: هل رأيتم خللاً في مال سعيد؟ فقال اثنان منهما لم نر شيئًا، أما الثالث فقال: رأيت علامات الفقر في منزله، فسأله معاوية: وما هي؟ قال: رأيت على حشمه ومواليه ثياباً وسخةً، ورأيت صحن داره غير مكنوس، ورأيت التجار يخاصمون خدمه. قال: صدقت كل ذلك قد رأيته. فوجه إليه معه بثلاث مائة ألف، فَسبق رسول يبشره بالمال ويخبره بما كان. فغضب سعيد وقال للرسول: إنّ صاحبك ظن أنه أحسن فأساء وتأوّل فأخطأ، فأما وسخ ثياب الحشم فمن كثرة حركته اتسخ ثوبه، وأما كنس الدار فليست أخلاقنا أخلاق من جعل داره مرآته، وتزينه لبسه، وأما منازعة التجار لخدمي فمن كثرة حوائجه وبيعه وشرائه. وأما المال الذي أمر به أمير المؤمنين فقد قبلناه وأمرنا لحامله بمئة ألف وللرجلين الذين حضرا مع معاوية لكل واحد منها مئة ألف.

فركب حامل المال إلى معاوية فأعلمه فقال: صدق ابن عمي فيما قال، وأخطأت فيما انتهيت إليه، فقام ووزع المال على صاحبيه وأعطى حصة حامل المال إلى رجل آخر محتاج وذلك عقوبة على اقتراحه الذي أحرج معاوية.

---

(١) يتوقاه: يحذره.

ما أجملها من فضائل وقيم رائعة فبالرغم من أيام الشدة التي مرت على سعيد بن العاص، فإنه كان يتظاهر بالغنى والعفاف ويرفض المساعدة من ابن عمه أمير المؤمنين بل يقبلها ويوزعها على من يستحقها وربما كان هو أحق بها.

أمر له معاوية يومًا بخمسين ألف دينار لما رأى حاله وقال له: اشترِ بها ضيعة تعينك على مروءتك. فقال سعيد: بل أشتري بها حمدًا وذكرًا باقيًا. أطعم بها الجائع، وأزوج بها الأَيِّمَ[1]، وأفك بها العاني[2] وأواسي بها الصديق، وأصلح بها حال الجار. فلم تأتِ عليه ثلاثة أشهر وعنده منها درهم فقال معاوية: ما فضيلة بعد الإيمان بالله هي أرفع في الذكر، ولا أنبه في الشرف من الجود، وحسبك أن الله تبارك وتعالى جعل الجود أحد صفاته.

وفي إحدى الليالي تناول الناس طعام العشاء عنده، فلما خرجوا بقي فتى من الشام قاعداً وعليه علامات البؤس[3] فقال له سعيد: ألك حاجة؟ وأطفأ الشمعة كراهة أن يخجل الفتى من طلبه حين رؤيته، فذكر أن أباه مات، وخلف ديناً وعيالاً، وسأله أن يكتب له كتاباً إلى أهل دمشق ليقوموا ببعض إصلاح حاله، فكَّر سعيد قليلاً ثم دفع له عشرة آلاف دينار، وقال له: لا أدعك تقاسي الذل على أبوابهم.

---

(١) الأيم: غير المتزوج

(٢) العاني: الأسير

(٣) البؤس: الشقاء والفقر.

واشتهر – رضي الله عنه – بالأدب والحلم والفقه وله في ذلك أقوال سجلها المؤرخون منها.

لجليسي عليَّ ثلاث: إذا دنا رحبت به، وإذا جلس وسعت له، وإذا حدَّث أقبلت عليه.

وكان يحترم جلساءه فيرحب بهم ويوسع لهم المجلس، ويقبل عليهم إذا تكلموا، فكان – رحمه الله – يقول: «ما مددت رجلي قطٌ بين يدي جليس، ولا قمت عن مجلس حتى يقوم»

وقد كان حليمًا إذا أحب شيئًا أو أبغضه لم يذكر ذلك وكان يقول: إن القلوب تتغير فلا ينبغي للمرء أن يكون مادحًا ليوم عائبًا غدًا.

ويقول في موضوع آخر: لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدنيء فتهون عليه.

وله أيضاً: شيئان لا أجد لنفسي العذر فيها: إذا خاطبت جاهلاً أو طلبت حاجة لنفسي

وهكذا استمرت الشجاعة والكرم والبر والحِلْم مع سعيد بن العاص رضي الله عنه إلى أن لقي ربه راضياً سنة ثلاث وخمسين من الهجرة بالعقيق في المدينة المنورة. وبعد أن تم دفنه نادى أولاده: من له دَيْنٌ على سعيد بن

العاص فليأتنا، فحضر مَنْ كان سعيد قد كتب له قرطاسًا بذلك، وهم كثر، فوفَّاها أولاده عنه وقد بلغت ثمانين ألف دينار!

للاستزادة من أخبار سعيد بن العاص انظر:

الإصابة: ت ٣٢٦٨

الاستيعاب ٢: ٨

العقد الفريد ١/ ١٧٠ - ٢٢٣، ٢/ ٢٤٥

المستطرف: ١/ ٥١٠

الكامل في التاريخ ٢/ ٢٣٢

obeikandl.com

(١)

أجب عن الأسئلة التالية:

١– متى ولد سعيد بن العاص؟

.....

٢– متى قتل أبوه ومَنْ قتله؟

.....

٣– لماذا أخذه عمر بن الخطاب وضمه إلى حِجْره؟

.....

٤– لماذا كره سعيد بن العاص أن يكون أميراً على الكوفة؟

.....

(٢)

هات على مثال السطر الأول

مسلم	مسلمان	مسلمون
أمير	.....	.....
قائد	.....	.....
صادق	.....	.....
بطل	.....	.....

obeikandl.com

(٣)

هات أضداد الكلمات التالية

مسلم .....

حرب .....

الحق .....

شجاع .....

كريم .....

جهراً .....

(٤)

كون أربع كلمات من الحروف التالية:

أ	م	س	ب	د	ر

١- ..... ٢- .....

٣- ..... ٤- .....

obeikandl.com